

## النجاح في القرن العشرين

### لأديب مجهول

في قطعة تعد من أجمل نماذج النثر الانجليزي يصف الأستاذ السير جيمس فريزر العادة الغريبة التي كانت متبعة في تولية القسس الحاكين بغاب ديانا القريب من موقع مدينة لارتشيا الحالية بإيطاليا: «فمن يوم إلى يوم، ومن عام إلى عام، في الحر وفي البرد، وفي الصحو وفي المطر، يخرج القسيس من المعبد حذرا يترب ويحجب الغابة، والسيف مشهور في يده، وإن أغنى إغفاءة فقد يكون ثمنها حياته ويتولى من قله الحكم مكانه». ذلك نوع من النجاح بعد به عنا الزمن، وأنكرته المدينة حتى في عهدا القديم (فإني أذكر وأنا أكتب الآن أن الامبراطور كرا كرا كان هو الذي أبطل قانون الغابة الذي سلف وصفه) لما تنطوى عليه فكرته من تغليب محض القوة أو الخديعة على كل اعتبار آخر وإباحة التخلص من وجود المنافس كلية بقتله، وقد يكون المقتول أنفع لقومه من القاتل، فضلا عن أن لا حياة لمجتمع ما إلا بالتواضع على حد أدنى من الأمن على النفس والمال وما يتصل بهاتين الغايتين من أفكار أدبية ونظم قانونية

وما زالت معايير النجاح تتغير تبعا لاختلاف الجماعات والعصور حتى أتى هذا القرن وأوضح صفاته وصول التنافس الاقتصادي فيه إلى أشده سواء بين الأفراد أو الأمم، وفي هذه الحالة ما فيها من خطر على المدينة يكاد يرجع بها إلى عهد التناحر الأول، وما استمرار الحرب الهجومية إلى هذا الوقت إلا نذير بما تستهدف له العلاقات الدولية من عودة الإنسان فيها إلى حكم غرائزه البحتة

تترك هذا الجانب الدولي من الموضوع، فليس هو المقصود يبحثنا الآن فضلا عن مساسه بمسائل هي أدق بكثير مما يتناوله البحث في تنافس الأفراد

والآن فمقياس النجاح في عصر الاقتصاد؟ إن أسهل جواب على ذلك القول بأنه هو النجاح المشتق من روح العصر. أي النجاح في الماديات، وأسهل جواب ليس هو دائما أفضل الخطاب، بل إن الأمر ليجتاج لنظر أدق وتفكير كثير، فقد كان التنافس في الماضي نضالا بين اثنين أو أكثر يفوز فيه أحسنهم مواهب أو فرصا، فتحول الآن إلى جهاد للتخلص مما أحاط به هذا العصر بنيه من

صعوبات نشأت عن انتشار الديمقراطية من جانب وزيادة السكان من الجانب الآخر. وأكبر أخطار الديمقراطية هو ما تحاول نشره يوميا (خصوصا بالسينما والراديو) من فرص للسواة المزعومة بين الناس مما يسهل انعدام شخصية الفرد في آلاف يراهم مثله. وأكبر أخطار زيادة السكان هو الفقر والعطلة، فالتحول بالأخلاق من يتابعها الأدبية والروحية إلى غرائز الاجرام الحيوانية الكامنة هي أيضا في الطبيعة البشرية ولا ريب في أن الناشئ. في هذا القرن يقاسى من هذه الصعوبات مالا عهد للسابقين به، ويتعرض من أخطاره لما لم يعرفه غيره من قبله، غير أنه لا ريب كذلك في أن إطلاق مبادئ النجاح المادى من عقالمها وترك النضال القديم الذي يعترف بحدوده من الأخلاق والدين إنما هو في الواقع هروب من الجهاد الصحيح إلى عراك آخر رخيص يبيح الصعود بالهبوط والوصول لنعيم الجسم بفقدان الروح، ولضخامة الكسب يموت الضمير وسيكون اختيار الناس لهذا النوع أو ذاك من النضال تبع فهم كل منهم معنى الكرامة والحياة، ولا فائدة على أى حال من خطاب من فسدت مقاييسه أو خبت طبعه، ولكن الذى لا بد من بيانه في هذا الصدد أن النجاح برغم كل ما تقدم من وصف صعبه لا يستلزم تغييرا في كيف السعى بل في كنهه؛ وبعبارة أخرى هو يستلزم زيادة في الجهد لا ما يدعو إليه المستهترون بالاجتماع السليم من اطراح ما قامت عليه المدنيات من قواعد الشرف والآداب

فاذا تبين أن سبيل النجاح الآن لا يخرج عما كان في كل آن من أنه طلب التقدم بكل وسيلة شريفة. يتى أن نبحت عن أهم شروط هذا الطلب فلا نجد غير إرادة النجاح، والإرادة هي إرادة الوسائل وعقد النية على العمل بها لا الإرادة الجوفاء الشبيهة بالأحلام وباعتبار ما تقدم القول عنه من امتياز هذا القرن بشدة التنافس الاقتصادي فيه يجب أن نضيف إلى شرط الإرادة شرطا آخر هو القدرة على إنزال المال منزله الصحيحة من أنه وسيلة للحياة المادية، وأنه هو والحياة المادية نفسها يجب أن يتخذا وسيلة لأن يحيا المرء حياته الروحية التي هو جدير بها. فاذا عمل عامل بهذه العقلية وتلك الإرادة فدوم على تهذيب نفسه مع السعى لترقية حاله وحافظ على شخصيته في كل الظروف فهذا هو الفضل وهو النجاح. (٥٥٥)